«اخلع حذاءك»

تأليف: جيمس ل. ماي

تحير موسى عندما رأى العُلّيْقَة تتقد دون أن تحترق. وقد جعله حب الاستطلاع أن يقترب إلى هذا المشهد غير الاعتيادي. وعندما اقترب، تكلم الله من العُلّيْقَة قائلاً: «لا تقترب إلى ههنا. اخلع حذاءك من رجليك. لأن الموضع الذي أنت واقف عليه أرض مقدسة» (خروج ٣: ٥). طلب الله من يشوع أن يفعل الشيء نفسه (يشوع ٥: ١٥). الموضع الذي به الله يكون موضع مقدس. الشيء غير المقدس لا يكون مناسباً لذلك الموضع.

يجمع الحذاء الأقذار ويقوم بتلويث الأرض. ولهذا السبب كانت العادة وما زالت في البلاد الشرقية هي خلع الحذاء قبل الدخول إلى الهياكل أو القصور. في كثير من الدول الشرقية ما زال الناس يخلعون الأحذية عند أبواب البيوت. غرفة الإجتماع غير مقدسة. جماعة العُبّاد التي تأتي إلى حضرة الله هي مقدسة، بغض النظر عن مكان اجتماعها. حتى تحت ظل الشجرة، إذا كان الله هناك فالتجمع مقدس.

ان مكان اجتماع المصلين ليس بمكان لقذارة ونتانة العالم. عندما يدخل المتعبدون إلى حضرة الله يجب أن يتركوا الأفكار الدنيوية.

إذا كان الشخص لا يستطيع أن يحب الله والعالم في الوقت نفسه (١ يوحنا ٢: ١٥)، فلا يستطيع أيضاً أن يعبد الله والعالم في الوقت نفسه. تدعونا العبادة إلى الخروج من العالم، إلى {الدخول في} قوة وحضرة الذي يشتهي أن يشبعنا بنفسه. إذا كانت كفايتنا لا يمكن تفريقها عن العالم بل مربوطة فيه بحيث لا نقدر أن نترك أمور الدنيا لنقترب إلى حضرة الله، قد لا نعلم أبداً ما يعني أن نجد كفايتنا فيه.

بأن تترك العالم خلفك

اقتبس بولس من سفر إشعياء ٥٢: ١١ وناشد المسيحيين في كورنثوس قائلاً: «اخرجوا من وسطهم واعتزلوا...» (٢ كورنثوس ٦: ١٧). كان يتحدث عن المحافظة على القداسة في مسيرتهم مع الله. كانوا مجربين من قبل الأوثان في المدينة المشهورة بعبادتها لأفروديت.[1] كان الله قد دعاهم من العالم ليكونوا شعباً مقدساً لأنه هو قدوس. طبيعته المقدسة لا تقبل ما هو غير مقدس في حضرته. كان أهل كورنثوس مثلهم مثل جميع الناس يصعب عليهم عزل انفسهم عن العالم الذي دعاهم الله منه.

عزل الله إبرهيم من أرض آباءه وأتى به إلى أرض جديدة لكي يجعل منه شعباً له (تكوين ٢٢: ٢-٤). لقد ناشد أولئك الناس أي الإسرائيليين أن يبقوا طاهرين ومنعزلين لدعوته. لم يكن عليهم أن يتزوجوا من الأمم الذين يعبدون الأوثان ولا أن يدخلوا في تحالف معهم. لم يكن اهتمام الله بعلاقتهم مع الناس الأجنبيين، بل كان اهتمامه بعلاقتهم مع الآلهة الغريبة.

تم دعوة إسرائيل من مصر لعبادة الله وخدمته. وكان على الله أن يقول لفرعون بواسطة موسى: «إسرائيل ابني البكر. فقلت لك أطلق ابني ليعبدني» (خروج ٤: ٢٢ و٢٣). طلب موسى من فرعون بتكرار أن يدع شعب الله يخرج لكي يخدموا الله. عندما ظهر ملاك الرب لموسى في العُلّيْقة المتقدة أكّدَ له قائلاً: «... حينما تخرج الشعب من مصر تعبدون الله على هذا الجبل» (خروج ٣: ١٢). أراد الله أن يكون شعبه له. لم يرد لهم أن يمزجوا عبادتهم

[1] أفروديت: إلهة الحب والجمال عند الاغريق.

له بعبادتهم لآلهة المصريين. لا ينبغي لهم أن يضموا الله مع أي شيء أو أي شخص آخر.

عندما كان الإسرائيليون يستعدون لعبور نهر الأردن ليبدأوا الاستيلاء على أرض كنعان، قال لهم يشوع: «تقدسوا لأن الرب يعمل غداً في وسطكم عجائب» (يشوع ٣: ٥). «قديسين»: هذه الكلمة تصف الذين هم مختلفين، ومعتزلين عن العالم لعبادة الله وخدمته.

كان سليمان ملكاً عظيماً بدأ حكمه بالتواضع والتوكل على الله. وقد استخدمه الله لينجز إحدى أعظم المهمات في تاريخ شعب الله؛ كان هو المسؤول عن بناء الهيكل، المكان الذي أسس فيه الله اسمه وحافظ على حضوره بين شعبه. بغض النظر عن هذا الإنجاز العظيم، أثار سليمان غضب الله لأنه أحب نساء غريبات كثيرات من الأمم التي قال الرب أن لا يتزوجوا منها لأنهم يميلون قلوبهم وراء آلهتهم (الملوك الأول ١١: ١ و٢). صارت لسليمان صلة وثيقة بالعالم الوثني أكثر من صلته مع الله.

عندما رجع يهوذا من سبي بابل ليعيد بناء الهيكل ومدينة أورشليم ويقوم مرة أخرى بعبادة الله، كان على عزرا ونحميا الاصرار على الانعزال من عالم الأوثان الذي كان من حولهم. كان عليهم ان يكونوا مقدسين ومنعزلين عن العالم قبل ان يتقدموا إلى الله في العبادة (عزرا ٩؛ ١٠؛ نحميا ١٣).

المجوس المذكورين في الأصحاح ٢ من إنجيل متى قادهم نجم من أرضهم في المشرق. تركوا ديارهم وأُسرهم وارتحلوا لمسافة أميال إلى الغرب وإلى مكان غريب ليبحثوا عن الذي أرادوا أن يعبدوه. لقد تحولوا عن الراحة والأمن في ديارهم (إلى حين على الأقل) لأجل فرح أعظم ومكافأة أكثر دوامة لعبادة رب السماوات والأرض.

كان يسوع ينفرد لوحده ليكون مع الآب (متى ١٤: ٢٣؛ مرقس ٦: ٤٦؛ لوقا ٦: ١٢). وغضب على الذين جعلوا من الهيكل مكان للتجارة (متى ٢١: ١٢). ووبخ الذين يصنعون الصدقة أو يصلون في الشوارع لكي يظهروا صلاحهم للناس. وأوصاهم أن يعطوا ويصلوا في الخفاء (متى ٦: ١-٦). هل تشير العبارة: «فادخل إلى مخدعك وأغلق بابك وصل إلى أبيك الذي في الخفاء» إلى انعزال عن العالم؟ بما نه يجب أن «نخرج» من العالم، يجب أن نضع جانباً هموم العالم عندما نقترب إلى حضرة الله.

طبعاً ينبغي أن نعيش في العالم: يريد الله لنا أن نضيء «كأنوار في العالم» (فيلبي ٢: ١٥). مهامنا المسيحية هي في العالم (مرقس ١٦: ١٥). لا يمكن أن نتمم تلك المهام من غير ان نبني علاقات مع أهل العالم (١ كورنثوس ٥: ١٠). لكي نهرب من الوجود «في العالم» ينبغي أن نخرج من العالم؛ وبهذا لا تضيء أنوارنا قدام الآخرين. عندما نأتى إلى حضرة الله للعبادة، ينبغي أن نترك العالم وراءنا. العبادة هي انعزال عن العالم.

لا بد أن نواجه المعارضة في العالم بسبب إيماننا أو نواجه الاستهزاء لأننا مختلفين عن العالم. قد نُنْفَى من أسرنا. وقد تتوتر العلاقات. قد نُعْتَبَر جهلاء. العالم منطقة قتال بالنسبة للمسيحي. أني مقتنع بان هذا هو السبب الأساسي الذي من أجله يريد الله لشعبه ان يجتمعوا (عبرانيين ١٠: ٢٥). يجب ان يكون جماعة المصلين ملجأ من العالم — إمهال العاصفة ومكان الراحة ووقت لجمع القدرة ولتغذية الروح الجائع. العبادة هي وقت التعزية وفرصة لدمل الجروح وإزالة الدموع. هي وقت الاستماع إلى الله، والاستماع مرة أخرى لوعوده ووصاياه. هي وقت الاعتراف بضعفاتنا واعلان إيماننا. يوفر التجمع وقتاً للتشجيع الذي لا يمكن للعالم أن يوفره، ووقت «الفرج من وجه الرب» (أعمال ٣: ١٩).

عندما تغزو الشؤون الدنيوية الكنيسة، يكون أحد النطاق الأولى التي يظهر فيها التأثير هي العبادة. قد تصير العبادة مشابهة لحفلة موسيقية أو حملة سياسية. في محاولة لتكون وثيقة الصلة بالعالم ولتجد أرضية مشتركة معه، يسمح الذين يقومون بتأسيس الكنائس بإجراء استفتاء بين «غير المسيحيين» لتحديد المواضيع التي يجب الحديث عنها في العبادة الجماعية. أشك في ان الذين يعتمدون على مثل هذه الاستفتاءات يريدون ان يتجاهلوا عمداً توجيه الله، ولكني

أتعجب من الذي تكون معاييره أكثر تأثيراً على خدمة العبادة في آخر الأمر. لاحظ دڤيد ويلس بدقة أن «الإيمان المسيحي الذي جُعلت له صلة وثقة مع العالم ... لا يكون وثيق الصلة مع الله ومع المسيح ومع الحق».

من أجل وثاقة الصلة يحاول الكثيرون اختلاط الإيمان المسيحي مع الدنيويات. يحاولون أن يجعلوا الإيمان أكثر رواجاً بين الناس ومستساغاً، ولكن قد فُقدت الكثير من إرادة الله عند القيام بهذا. قد نظن بان أفضل استراتيجية للتبشير بالإنجيل هي ان نلتقي الناس حيث يوجدوا لكي نقودهم إلى حيث يريد الله لهم أن يكونوا. يبدو بان هذا ما كان يعنيه بولس بقوله: «صرتُ للكل كل شيء» (١ كورنثوس ٩: ٢٢). ولكن بولس لم يقصد بانه ينبغي للعبادة أن تبدو كالعالم لكي تجذب الذين من العالم. المحاولة للاقتراب إلى الله بمفهوم عالمي قد يجعلنا نحس بالسعادة والتمتع بانفسنا ولكن هذا قد يجعل القصد من العبادة يفوت علينا. إذا كانت العبادة هي اعطاء بيان للعالم، ينبغي أن يقول ذلك البيان اننا مخلصين لله. لا نريد أن نكون بغير احساس أو بغير صلة للعالم الذي هو بحاجة شديدة إلى الله، ولكن يجب أن تكون رغبتنا الأساسية هي ان نطيع صوت الله.

بالدخول لإكرام الله وليس لأن نتسلى

هناك ميل متزايد إلى اعتبار العُبّاد كمستهلكين. لدى رجال الأعمال طريقتين للتوسع في أعمالهم. احدهما هي باقناع المستهلكين بانهم يحتاجون إلى النتاج الذي يقدمه صاحب المصنع؛ والأخرى هي معرفة ما يريده المستهلكون بالضبط وإنتاج ذلك لهم. في السنوات الأخيرة وضع أصحاب الأعمال التشديد على الطريقة الأخيرة. أصحاب المصانع الذين ينتجون ما يريده عامة الناس متأكدون بانهم يجذبون زبائنهم. لقد تبعت الديانة هذا المبدأ من عالم الأعمال. إذا أُعتبرت الديانة كإنتاج يجب استهلاكه، تكون الطريقة المعقولة (على الأقل من وجهة نظر الأعمال) هي معرفة ما يحتاج إليه عامة الناس في الديانة، ثم توفيره لهم. «النتاج» الأكثر استهلاكاً الذي توفره الديانة هو «العبادة». هل يريد الجمهور المستهلك العبادة حقاً؟ ما يريدونه هو ما يجدونه ممتعاً وليس مضجراً. يريدون أن تكون جماعات المصلين مثيرة وممتعة. يطالب عامة الناس أن تكون العبادة وقتاً للهو. بالنسبة للذين هم في وفاق مع الله ويرغبون ان يكونوا في حضرته، تكون العبادة ممتعة ومفيدة دون ان يكون هناك أية محاولات خاصة لتسلية جماعات المصلين. الاستمتاع لا يتناقض هدف العبادة. ولكن هل يعني هذا انه يحق لنا أن نقوم بتقديم برنامج للتسلية في يوم الأحد لكي نشبع رغبات الزبائن الذين ليسوا في وفاق مع الله؟

السبب وراء عمل اشياء مسلية اثناء العبادة هو القيام بكل ما هو ضروري لجذب الناس إلى جماعات المصلين، ومن ثم نحاول أن نجذبهم إلى حضرة الله ما داموا هناك. طبعاً الأمنية هي انهم بعد ما يكونون في حضرة الله لا يحتاجون إلى تسلية لتقودهم إلى العبادة. ولكن الحقيقة هي انه من النادر أن تكون هذه الطريقة فعالة كما يراد لها أن تكون. الفكرة بان التسلية يمكن أن تحرك رغبة الشخص للعبادة الحقيقية هو امر مشكوك فيه. استخلص دان شامبرز بان التسلية «قد تقلل من الشعور بالرهبة والإجلال الذي يجب أن يكون عند الالتقاء مع الله». واستمر قائلاً: «الالتقاء مع الله شيء يجب ان يؤخذ بجدية، والذين يريدون أن يأتوا إلى حضرته يجب أن يفعلوا هذا بإجلال ووقار عظيمين».

في سنة ١٩٩٢م كنت مع المجموعة التي ذهبت إلى مدينة أوكرانية كبيرة. وقد حصلنا على إذن لنقوم بحملة تبشيرية خارج مبنى المسرح في قلب المدينة. عبر الكثير من الذين جاءوا أولاً عن خيبة الأمل لأننا أعطيناهم الكتب المقدسة فقط. قبل أيام قليلة كانت مجموعة أخرى من الولايات المتحدة قد ذهبت إلى هناك وأعطتهم أجهزة التلفاز والدراجات. استأجروا قاعة رياضة كبيرة وملؤوها باعطاء التذكرة لكل من

دخل بالباب. وقيل لكل من دخل أن يملأ البيانات الموجودة بالتذكرة ويضعها في صندوق مخصص لذلك. وفي نهاية خدمة العبادة يتم اختيار الفائزون. كلما كان عدد أفراد الأسرة كثير كلما زادت فرصة الفوز لأفراد تلك الأسرة. سمعنا الناس يتحدثون عن الجوائز لمدة أيام بعد ما غادرت تلك المجموعة المدينة. تعجب الناس لماذا لم نفعل مثل ذلك. حسب رأي، الانطباع الذي تركته تلك المجموعة هو انها كانت تجذب الناس إلى الجوائز وليس إلى الله. بعض من الناس المحليين أعتبرونا « رتبة ثانوية »؛ ما كنا نقدمه لم يعجبهم بقدر ما قدمته لهم المجموعة السابقة. لا شك بان تلك المجموعة كانت لها طريقة خاصة للتعامل مع الناس، ولكن هل جعلت لأي من هؤلاء الناس علاقة مع الله؟

طبعاً في عالم الأعمال يكون « الزبون دائماً على صواب ». صوت الشعب يحل محل صوت الله. الرأي الشخصي يكون العامل الأساسي في تحديد ما يحدث في العبادة الجماعية. لاحظ دڤيد ويلس بان « السلطة الوحيدة المعترف بها هي التفضيل الشخصي ». لقد اعتاد المستهلك أن يجد ما يريده؛ وإلا فلا يشتري النتاج.

الخلاصة

عند التلبية لدعوة الله للعبادة، ينبغي أن نقدر ما إذا كانت عبادتنا هي مجرد انعكاس تقاليدنا الوثنية أم هي جسر لربط تقاليدنا الوثنية مع الله. يهتم الله دائماً بان تقاليد الوثنية ستترك تأثيراً كثيراً على شعبه. وفي الوقت نفسه يريد لنا أن نبني جسور لتساعد الناس في العبور من التقاليد الوثنية إلى التقاليد المسيحية. لاحظ ليون ألن ما يلي عن الديانة العصرية:

> {انها تنجح في} البيئة الدنيوية، وتصير مفتتنة بنفسها، وانتخابية ومليئة بالنزعة. يقيّم الناس الديانة إلى حد تعزز وتشبع الذات. انهم ينشغلون بهذا وبذاك ويحكمون فيها بالكيفية التي عمل بها وكيف تجعلهم يشعرون.

العبادة المصممة لعامة الناس قد تكون نشاط علاجي رائع يعزز النفس ويجعلنا سعداء في حين لا تكون النشاط الذي يدعو الله إلى حياتنا ليحولنا إلى طبيعته. الخطر الحقيقي لمثل هذه العبادة هو عوضاً عن الاقتراب إلى الله كما هو، نميل إلى خلق إله يرحب بنا، وإله نشعر بأكثر ارتياح من نحوه، الإله الذي مثلنا ويمكن ان يوصف بطريقة حياتنا الدنيوية. أي بعبارة أخرى هناك خطورة في اننا نخلق إله في صورتنا بدلاً من أن نعبد الله الذي خلقنا على صورته. قد يخرج الناس من هذا النوع من العبادة وهم يشعرون بانهم مملوئين، وقد يكونون مملوئين بأنفسهم أكثر من كونهم مملوئن بالله. فالعالم يضلل. إغراء العالم قادر على تحويل تفكيرنا وارباك احساسنا. قد نظن ونشعر باننا نعبد في حين اننا لا نفعل ذلك. إذا كان هناك أي مكان وزمان لشعب الله أن يعلنوا بوضوح اننا لسنا من العالم (يوحنا ١٧: ١٤ و١٦)، يكون ذلك بكل تأكيد في جماعة المصلين. الجماعة هي أرض مقدسة. يجب أن نخلع حذاءنا بالمعنى المجازي عندما نأتي من العالم إلى جماعة المصلين. يجب أن نترك قذارة العالم وصراعاته عندما ندخل إلى حضرة الله. قد لا يفهم العالم هذا بل وقد يغيظ بسبب ذلك الاستعلان، ولكن يسوع نفسه قال: « ... أنا اخترتكم من العالم لذلك يبغضكم العالم » (يوحنا ١٥: ١٩). لم يكن ليسوع دائماً صلة مع تقاليد زمانه، ولا يجب لنا أيضاً أن تكون لنا صلة دائمة مع تقاليد زماننا. كانت رغبته هي أن تكون له صلة مع أبيه. وتلك يجب أن تكون رغبتنا أيضاً.

عندما نترك هذا العالم إلى الأبد وندخل إلى السماء سيكون لنا امتياز لتسبيح وتمجيد الله حول عرشه إلى الأبد. وهناك نكون جزء من الجمهور السماوي الذي لا يكف عن القول: « قدوس قدوس قدوس الرب الإله القادر على كل شيء الذي كان والكائن والذي يأتي » (رؤيا ٤: ٨). قداسة الله تتطلب ان تكون عبادتنا مقدسة لا يؤثر فيها العالم.

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٧